الفصل الثاني

مصطلحات (راند) في نعت الإسلام والمسلمين، تحليلها، ونقدها

وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام الأصولي، ونقده.

المبحث الثاني: الإسلام المتطرف، ونقده.

المبحث الثالث: الإسلام المعتدل، ونقده.

المبحث الرابع: الإسلام السياسي، ونقده.

تمهيد
تعدد مصطلحات (راند) في نعت الإسلام

يستخدم خبراء (راند) كلمة الإسلام بإضافة نعت لها يصف واقع بعض المسلمين بحسب نظرة الخبير.

من ذلك قولهم: الإسلام السني، والإسلام الشيعي، والإسلام الوهابي، والإسلام الصوفي، والإسلام الأوروبي، والإسلام الأفريقي، والإسلام السعودي، والإسلام السوداني، والإسلام الباكستاني، والإسلام الأصولي، والإسلام المتشدد، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل، والإسلام السياسي، والإسلام الحداثي أو المعاصر، والإسلام المدني، والإسلام (الليبرالي).

وهكذا، ما بين تقسيم الإسلام دُوليًا وكأنه مختلف وليس دينًا واحدًا، وتقسيمه بحسب دعواته التجديدية، وتقسيمه بحسب الافتراق فيه، وتقسيمه بمدى تمسك أهله به بين الإفراط والتفريط، بتقسيمات لم يرد فيها نص ولا أُثرت عن سلف الأمة رضي الله عنهم ورحمهم.

وليس نعت الإسلام بأوصاف متعددة قاصرًا على خبراء (راند)، بل ما يزال المستشرقون بعامة يستخدمون تلك الأوصاف والتقسيمات، وتبعهم بعض المسلمين.

وهذه التقسيمات لقيت -على خطئها- تأييدًا من بعض مَن يوصفون بنقدهم للاستشراق، مثل إدوارد سعيد، حيث يقول -في مقال له بُعيد أحداث ١١/ سبتمبر-: «لا يوجد إسلام واحد: هناك (إسلامات)، تمامًا مثلما أن هناك (أمريكات)»[(١)].

ومن يستعرض نصوص الكتاب والسنة لا يجدها فرقت بين إسلام وإسلام، ولكن التفريق فيها جاء على ثلاثة مقامات: الإسلام، والإيمان، والإحسان، «يقول تعالى منكرًا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد:

---

(١) "الجهاد"، كينث تشيرتش، في: اللغة المتوحشة: مفردات الحرب الأميركية على الإرهاب، تحرير جون كولنز وروس غلوفر، ترجمة أحمد بن راشد بن سعيِّد، (دبي، مؤسسة البيروني للإنتاج الثقافي، ٢٠١٠م)، ص١٥٤. نقلاً عن : Edward Said, "Islam and the west are inadequate banners", Observer, 16 September 2000.

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[1]، وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه... هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه فأُدبوا في ذلك»[2].

فليس هناك إسلام الأعراب وإسلام غيرهم، لكن وصف الإيمان هو الذي يصلح أن يطلق على أناس ولا يصلح أن يطلق على آخرين، فالإيمان واحد، والإسلام واحد، والناس هم الذين يختلفون في اقترابهم منهما أو ابتعادهم عنهما.

ومن أسباب نعت خبراء (راند) الإسلام بنعوت كثيرة متعددة ومختلفة -بحسب رأي الباحث- أنهم لا يبحثون في أصول الإسلام وأدلته ومصادره الأصلية، فيستقون منها وصف الإسلام، ولكنهم يحللون الوضع الحالي للمسلمين، فعندما يرون ممارسات المسلمين في تركيا تختلف عن ممارسات المسلمين في المملكة العربية السعودية، وتختلف عنهما في إيران؛ يحاولون التمييز بينها فيقولون (الإسلام التركي)، (الإسلام السعودي)، (الإسلام السني)، (الإسلام الشيعي).

ومن أسبابه -كما هو عند المستشرقين من غير (راند)، بحسب ما أشار إليه معالي أ.د.علي النملة-: أن المستشرقين اتَّبعوا المنصرين في هذه التقسيمات، يقول: «واستفاد المستشرقون من المنصرين الميدانيين، من خلال انطباعاتهم التي سجلوها عن المجتمع المسلم الذي عايشوه، فخرجوا منه بهذه الصور التي لا تعبِّر عن الإسلام، بقدر ما هي الخرافات عن الإسلام في المجتمع المسلم، فعدُّوها من الإسلام، وجعلوا الناس حجة على الدين أخذًا بالنظرية الاجتماعية التي تقول: إن الدين يؤخذ بقدر ما يأخذ الناس منه، الأمر الذي أدى إلى تصنيف الدين إلى

(١) سورة الحجرات، من الآية: ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ)، ٤/٢٣٤.

جملة من الأديان، فالإسلام إسلامات، وليس إسلامًا واحدًا، إذ إن هناك عندهم الإسلام الشعبي، والإسلام التقليدي، والإسلام السياسي...

وأخذ بعض المفكرين العرب بهذه التقسيمات، وأشاعوها بين الناس، ودَعَوهم إلى تصنيف إسلام الأشخاص، بحسب ما يظهر عليهم، من قرب أو بعد عن هذا الإسلام أو ذاك»[(١)].

ويرى أ.د.محمد خليفة حسن: أن سبب تعدد نعوت الإسلام لدى الغربيين مع أن الإسلام شيء واحد: وجود باحثين ومفكرين يعملون في مراكز البحوث الغربية، منهم من هو من أهل السنة والجماعة، ومنهم من ينتمي إلى الفرق والمذاهب المبثوثة في العالم الإسلامي، فهؤلاء قدَّموا للغرب رؤى عن الإسلام جعلت الغرب يعتقد أنه لا يوجد إسلام واحد، ولكن هناك عدة أشكال للإسلام، وهذا يفسر انتشار المصطلحات الاستشراقية التي تجزئ الإسلام إلى إسلام سني، وإسلام شيعي، وإسلام بهائي، وإسلام أصولي إلى آخر هذه الأسماء الباطلة التي تهدف إلى التأكيد على تعدد الإسلام وانقسامه إلى مذاهب مستقلة[(٢)].

ويقول د.محمد الزيادي: قد يكون التلاعب بالمعاني والمصطلحات مقصودًا ومبيتًا، فالإسلام واضح وهو شيء واحد، ثابت لا يتغير مهما اختلفت بيئته التي انتشر فيها، فعندما يجري الحديث عن المسلمين في بيئة مسماة ثم يقال هذا هو الإسلام، فإنه استخدام غير علمي، ويقصد منه تقديم الإسلام من خلال سلوكيات المسلمين؛ ليتم تنفير الناس وإبعادهم عنه[(٣)]ا.هـ.

لكن الرجوع إلى أصل واحد، ودين واحد يجمع المسلمين، فهذا ما لا يريدونه أو يسمحون ببعثه بين المسلمين؛ ليضمنوا بذلك تفرق المسلمين وضعفهم[(٤)]، واستمرار بُعدهم عن دينهم.

---

(١) الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص١١٤.

(٣) الاستشراق للزيادي، ص١٤.

(٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ط٨، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٥هـ)، ص٥٧.

إن تصوير الإسلام بأنه أنواع كثيرة وليس شيئًا واحدًا؛ له أثر نفسي على من يفكر بالتعرف عليه من غير المسلمين، وهو أثر سلبي يوقع من يريد اعتناق الإسلام بالحيرة والتشتت، ويزيد من مستوى رفض اعتناقه. وهذا الأثر النفسي ملموس في الأشياء الحسية، فعندما يريد المرء أن يشتري حاجة من حوائجه، ثم تتعدد الخيارات أمامه فإنه يجد نفسه محتارًا مترددًا في الاختيار منها، وقد يعود أدراجه ولم يشتر حاجته، لكن إذا كان الخيار واحدًا لا ثاني له لم يحصل عنده شيء من ذلك.

ويُستخلص مما تقدم أهمية اختيار المصطلحات الرصينة، وبخاصة في زماننا، بحيث تكون سليمة المباني، واضحة المعاني، حتى لا تكون مطية لتسريب مفاهيم مغلوطة، وهو مطلب من صميم المنهجية العلمية السليمة التي سار عليها أسلافنا رحمهم الله تعالى، وأسسوا من خلالها تراثا فكريًا عظيمًا، لا يزال العالم ينهل من معينه[1].

وستناقش المباحث الأربعة التالية أربعة مصطلحات، هي أهم ما نعتت به (راند) الإسلام، وأناطت بها خططًا وبرامج عمل، اقترحتها للعمل بها داخل البلدان الإسلامية.

(١) ينظر: الاستشراق للزيادي، ص١٥.